المحاضرة الأولى: مفهوم النقد الأدبي الحديث وغايته

قبل التطرق إلى مفهوم النقد نعرج أولا إلى معنى الأدب ؟ بوصفهما مكونين متلازمين منذ القدم.

فالأدب عملية إبداعية تحمل رؤى وتصورات فكرية خاصة بأديب مَا، فإذا كانت لفظة «أدب» قد حملت معانٍ ومفاهيم متعددة عبر تطورها من أقدم العصور إلى العصر الحديث، فإن النقد يسير هو الآخر على هذه الوتيرة العلمية الثقافية، لذلك نرى بأن كلا من الأدب والنقد مكونين متلازمين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، إذ أن قيمة العمل الأدبي الفنية والموضوعية، ولاسيما الشعورية والتعبيرية وغيرها لا تتضح إلا بعد تقويم نقدي له «فجوهر النقد الأدبي الحديث عموما يقوم على الكشف عن جوانب النضج الفني في النتاج الأدبي وتميزها عن طريق الشرح والتعليل»[1].

فقبل التطرق إلى نشأة النقد الحديث وعوامل ظهوره، نعرج أولا على مفهومه من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

مفهومه من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية:

لغة: يشغل النقد فضاءً معرفيا واسعاً، لما يتمتع به من نشاط ملحوظ وواضح في تاريخ الأدب العربي الحديث، وحين الرجوع إلى معاجمنا العربية نجد له حظا وفيرا من التعاريف. فما أورده ابن منظور في لسانه في مادة (نقد) قوله: النقد خلاف النسيئة، والنقد والتنقاد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، أنشد سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهم تنقاد الصيارف[2].

يتضح لنا من خلال هذا القول أن كلمة (نقد) من حيث اللغة تعني تمييز الجيد من الرديء أو التمييز بين صحيح الدراهم من زائفها ،كما نجد من معاني النقد اللغوية أنه مرتبط باستخراج العيوب مثلما هو واضح في قول (أبي الدرداء): "إن نقدت الناس نقدوك، وإن تركتهم تركوك »[3]؛ إذ المقصود هنا أن المرء إذا استخرج عيبا أو نقصا في أخيه سيرد له بالمثل؛ أي استخراج عيبه هو الآخر.

النقد اصطلاحا:

أشرنا سابقا أن النقد هو عملية إبداعية لازمة للعمل الأدبي، إذا لا يمكن تلقي العمل وتذوقه إلا بعد تمريره على مخبر نقدي بغية تشريحه وتفكيكه بعين ناقدة تتمتع بدقة الحس وقوتي الإحساس والإدراك، ومن ثم امتلاكها لكفاءة الفهم قصد الحكم عليه؟ لأن النقد يتمثل في « دراسة الأشياء وتفسيرها وتحليلها وموازانتها بغيرها المشابهة لها أو المقابلة، ثم الحكم عليها ببيان قيمتها ودرجتها»[4]؛ أي إن الناقد حينما يوازن بين النصوص بعد فهمها

---

[1] ينظر، محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 9.

[2] ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مج3، دار صادر، بيروت ط3، 1994، ص 425، 426.

[3] ينظر ابن منظور، لسان العرب، ص 425- 525.

[4] ينظر، محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة، ط1 ،1995، ص10.

وتذوقها فهو في حالة تفكيك لبنية النص، وتشريح لمجمل العلاقات الجوهرية التي تكونت على أساسه؛ وكأنه يحاول أن يمنح للنص قراءة جديدة لتبيان قيمته ودرجته بموازانته مع أعمال أدبية أخرى ، وعلى هذا الأساس فإن النقد من الناحية الاصطلاحية هو« الحكم على الأعمال الأدبية وفق تمييز الأساليب الأدبية وشرحها وتفسيرها، والكشف عن نمط العلاقات التي تنظم النص الأدبي، وتوصيفها، كما أنه فن تأويل النصوص وقراءتها قراءة موضوعية من واقع بنية النص»[5]. فالحكم على العمل الأدبي واشتراط الفنية في تمييز أساليب تكوينه من منطلق موضوعي هي مسألة نقدية يتفاعل فيها كل من العمل وشعور الناقد في سبيل تقديره (النص) وبيان قيمته ودرجته الأدبية. ومن هنا تكمن غاية النقد ووظيفته.

غاية النقد ووظيفته:

للنقد الأدبي مجموعة من الوظائف والأهداف نذكر منها:

1/تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية، وبيان قيمته «الموضوعية» على قدر الإمكان، لأن الذاتية في تقدير العمل الأدبي هي أساس الموضوعية فيه، ويقصد بهذا أنه لا يمكننا خلع ذاتية الناقد أثناء تقويم العمل الأدبي، لأنه ينطلق من ذوقه الفطري الخاص به، وهذا ما يسمى بالذاتية في النقد، حيث يجعل من ذاتيته منطلقا أساسيا في عمليته التقويمية، مع ملاحظة طبيعة العمل الأدبي الذي ينظر فيه وأدواته الميسرة له، وطرائق تناوله، والسير فيه وقيمه الشعورية والتعبيرية ،وهنا يتخطى تأثره الشعوري المبهم في الحكم على العمل الأدبي، فذلك بعد ضرورة اشراك الآخرين معه في الأسباب والمقدمات، فحينها يستطيع تقويم العمل فنيا وبيان قيمته الموضوعية، التي يعتمد فيها على معايير ومقاييس كامنة في العمل الأدبي ذاته[6].

2/تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب ، وكذلك مدى تأثره بالمحيط، ويقصد بذلك المتابعة الزمنية، فأثناء تقويم العمل الأدبي فنيا يجب على الناقد متابعته زمنيا، بهدف معرفة فنيته، هل يتوفر على قيم تعبيرية جديدة مثلا، تضفي به إلى مصاف التحديث أم مثلا يحاكي فيه نموذجا أدبيا قديما؟ وما استمد هذا العمل من البيئة، وما الأشياء التي أضافها لها؟ أين تكمن الإبداعية والعبقرية حينما يكمن التزاوج أو التعايش بين العمل والمحيط المتأثر به والمؤثر فيه؟.

3/تأتي وظيفة النقد أيضا بعد الفراغ من كتابة العمل الأدبي « فالنقد يفرض أن الأدب قد وجد فعلا ثم يتقدم لفهمه وتفسيره وتحليله وتقديره، والحكم عليه»[7]. يؤول هذا الكلام أن الوظيفة الأساسية للنقد هي تقدير العمل الأدبي، وذلك ببيان قيمته في ذاته أولا، نظرا للقواعد والخصائص التي يمتاز بها، وإذا كان النقد هو إعادة إنتاج النص، فأنهما يشتركان في عملية

---

[5] صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، منشورات جامعة السابع من أبريل، ط 1، 1926 ه، ص19.

[6] ينظر، سيد قطب،النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق ،القاهرة، ص12 ،13.

[7] أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10 ، ص 116.

الذوق، وعليه فإننا نجد كلا من الكتابة الأدبية وعملية الذوق والعملية النقدية هي ملكات ثلاث تعمل مجتمعة لدى الأديب الناقد.

من هذه الملكات الثلاث يمكن استنباط الغاية الرابعة المتمثلة في:

4/تصوير سمات صاحب العمل الأدبي من خلال أعماله وبيان خصائصه الشعورية والتعبيرية، وكشف العوامل النقدية التي اشتركت في تكوين هذه الأعمال[8]. وذلك للتسهيل على الناقد أثناء عملية الشرح والتفسير حين تقويمه للعمل الأدبي، لأن جوهر النقد ووظيفته تعنى «بالنص الأدبي تطبيقا وتنظيرا، فهو يتخذ من الإبداع الأدبي مادة له، يعالجها ويحللها ويقومها، ويحاول أن يتوصل من خلال ذلك إلى الأسس النظامية للنص والإبداع، وللظاهرة الأدبية عامة، وهو لا يكتفي بذلك، إذ أنه يسعى إلى تحديد الأسس الناظمة للعملية الإبداعية الأدبية فحسب، بل يهتم أيضا بدرس العملية النقدية، والكيفية التي ينبغي أن تتم بها، والطرائق المثلى المؤدية إلى وعي الظاهرة الأدبية»[9]. إذ العملية النقدية لا تقوم على الشرح والتفسير فحسب، و إنما تتغلغل في ذلك إلى جوهر ووعي الظاهرة الأدبية بكامل جوانبها وما يحيط بها.

---

[8] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،ص 113.

[9] سعد الدين كليب، النقد العربي الحديث مناهجه وقضاياه، مديرية الكتب والمطبوعات، منشورات جامعة حلب، سوريا، 2005، ص 35.